حكايات من القرآن

٩

العبد الصالح الخضر

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

قالَ (أبو خالدٍ) لِزَوْجَتِه والأولادِ: غَداً يومُ الإثْنينِ عُطلةُ عيدِ الجَلاءِ... فما هُو رأيُكُم في أنْ نَصْحَبَ جَدَّكم إلى أحدِ الأماكنِ الجَمِيلةِ...؟!

اقْتَرَحتْ (أمُّ خالدٍ) أن يَذْهَبُوا إلى منطقةِ جبلةَ.. حيثُ الهواءُ النَّقِيُّ العَلِيلُ ، وبالتالي يكونُ تَغْيِيْرُ المَكَانِ شَيْئَاً مُفِيداً.

بينما اقترحَ (خالدٌ) أن يَذْهَبُوا إلى ساحِلِ البحرِ ، فَيَقْضُوا غالبيَّةَ النَّهارِ في المِياهِ الدَّافِئةِ.. وما أَجْمَلَ السِّباحةَ في فَصْلِ الرَّبِيعِ...

(طارقٌ) يبدو عليه الانْهِماكُ والانْشِغالُ في أَمْرٍ ما... فقال له والدُه: وما هُو رأيُكَ يا طارقُ؟!

فأجابَ قائلاً: أرى أن تَطْبخُوا لنا (الكوسا المحشي) و (الكباب الهندي)!!

ضَحِكَ الجَمِيعُ ، وقالت والدتُه: نحنُ في وادٍ.. وأنتَ في وادٍ آخَرَ.. وأنتَ لستَ مَعَنا إذاً يا طارِقُ؟

قال والدُه: وما دَخْلُ الأكلِ باقْتِراحِنا الذَّهابَ غداً إلى أحدِ الأماكنِ؟

ودَخَلَ (الشَّيخُ حُسَيْنُ) صَالُونَ البيتِ ، وإلى جِوارِه (بُشْرى) وقد عادا مِنْ سُوقِ المَدِينةِ...

فقالَ الشَّيخُ: مالي أراكم مُجْتَمِعِينَ؟ كأنكم تُناقِشُون أَمْراً ما؟!

نَعَمْ يا والدي ـ قال (أبو خالدٍ) ـ نُحِبُّ أن نُغَيِّرَ المكانَ غداً.. وغداً عُطْلةُ عيدِ جلاءِ المُسْتَعْمِرِ الفرنسيِّ عن بلادنا الحَبيبةِ.. فما هو رأيُكَ في أن نَذْهَبَ معاً إلى إحْدىٰ مُحافَظاتِ القُطْرِ..؟

ابْتَسَمَ الجَدُّ.. وبَدَتْ عليه عَلاماتُ الرِّضا والسُّرورِ.. ثمَّ قالَ: صَحِيحٌ أنَّ مدينةَ حَماةَ بعيدةٌ بَعْضَ الشَّيء عَنِ اللاذقيةِ ، لكنْ أنا أُحِبُّ مدينةَ

أبي الفِداء.. ومنذ أكثرَ من ثَلاثِينَ عاماً لم أَزُرْها...

هِيه...ـ صاح الأولادُ ـ.. أحسنتَ يا جَدِّي.. نريدُ أن نُشَاهِدَ نَواعِيرَ حَماةَ والآثارَ التي فيها... وأَبْرزَ مَعَالِمِها أيضاً...

قالتْ (أمُّ خالدٍ): لكنْ بشرطِ أن نَنْطَلِقَ منذ الصَّباحِ الباكرِ، لنمضِيَ طِيْلةَ النَّهارِ في تلكم المَدِينةِ...

فقالَ الجَدُّ: إذاً هيَّا يا أَعِزَّائي إلى النَّومِ مُبَكِّراً، كي نَسْتَيْقِظَ باكراً...

وهكذا راحَ الأطفالُ يَتَحادَثُون عن رِحْلةِ الغَدِ.. وكُلُّ واحِدٍ يَتَخَيَّلُ حَدَائِقَ حَمَاةَ ونَواعِيرَها.. وما هي أهمُّ الأَشْياءِ التي سَيَشْتَرِيها منها، ثم أَخْلَدُوا إلى النَّومِ...

بَيْنَما كانتْ والِدَتُهم ووالِدُهُم يَقُومانَ بِتَجْهِيزِ أَغْراضِ الرِّحْلةِ...

لكنَّ العَجِيبَ أنَّ (خالداً) استيقظَ في يومِ الإثْنَيْنِ قُبَيْلَ الفَجْرِ بساعةٍ ونِصْفٍ ، وراحَ يُوقِظُ إخْوَتَهُ.. ثمَّ انْطَلقَ إلى غُرفةِ جَدِّه وطَرَقَ عليه البابَ وهُوَ يَقُولُ: هَيَّا يا جَدِّي ، لقد تَأخَّرْنا.. فالمسافةُ ـ كما قُلْتُم لنا ـ بَعِيدةٌ جداً!!

واسْتَيْقَظَتْ والِدَتُه على صَوْتِه مَعَ جَدِّه... وراحَ الجَمِيعُ يُهَيِّئُون لِبَاسَهم ، وطَعَامَهُم ، وشَرَابَهُم... حتَّى إذا ما نادى المُؤَذِّنونَ لِصلاةِ الفَجْرِ ، وَقَفُوا وراءَ (أبي خالد) وأَدَّوا الصَّلاةَ ، ثُمَّ سَارُوا على بَرَكةِ الله..

وفي الطَّريقِ قالتْ (بُشْرى) لِجَدِّها : ومَتَى سَتَحْكِي لنا حِكايةَ اليومِ يا جَدِّي؟

فقالَ الجدُّ: حتَّى نَصِلَ المَدِينةَ ، ونَرْتاحَ في إحْدى حَدَائِقِها.. وعِنْدَئذٍ سَأَحْكِي لكم أَكْثَرَ من حِكايةٍ...

إنَّه الفَرَحُ والسُّرورُ.. فالسَّفَرُ والتَّرْحالُ شَيْء رائِعٌ.. حيثُ يُشاهِدُ الإنسانُ أُمُوراً لم يَرَها من قَبْلَ... ويَتَعرَّفُ على بِلادٍ جَدِيدةٍ يَطَّلِعُ فيها على عاداتِ الآخَرِينَ..

وبَعْدَ ساعاتٍ وَصَلتِ السَّيَّارةُ إلى مَدِينةِ حَمَاةَ.. وقَرَأتْ (بُشْرى) على إحْدى اللافِتاتِ الكَبِيرةِ:

أَهْلاً بكم في مَدِينةِ أبي الفِداءِ...

ولمَّا اسْتَقَرَّ بهمُ الأمرُ في سَاحةِ وحَدِيقةِ النَّواعيرِ.. رأوا أُمُوراً لم يَرَوْها من قَبْلُ.. وراحَ الأطفالُ يَسْتَفْسِرُونَ عن النَّواعِيرِ.

كانتْ (أمُّ خالد) تُهَيِّئُ طَعامَ الفُطُورِ.. ثم دَعَتْهُم لِتَناوُلِ الوَجْبةِ الصَّباحِيَّةِ.. وبَعْدها قالَ الجَدُّ: لقد حانَ وَقْتُ الحِكايةِ الأُولى...

مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ يا مُوسَىٰ؟!

ذاتَ يومٍ وَقَفَ نبيُّ اللهِ مُوسى يَعِظُ النَّاسَ ويُذَكِّرُهُم...

ولكثرةِ مَواعِظِه ونَصَائِحِه ، والأمثالِ التي ذَكَرَها ، بَكَى غالِبيَّةُ الحاضِرِين ، ورَقَّتْ قُلُوبُهم.. فَقالَ: سَلُوا ما شِئْتُم...

وراحَ بَنُو إسْرائيلَ يَسْتَفْسِرُونَ عن الإشْكاليَّاتِ والأُمُورِ التي لم يَفْهَمُوها.. ، وقام رَجُلٌ يَسْأَلُ فقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ ! هل في الأرضِ رَجُلٌ أعلمُ منكَ؟

فقالَ موسى على الفَوْرِ: لا... ، أنا أَعْلَمُ النَّاسِ..

فجاءَهُ العِقابُ مِنَ اللهِ تعالى ، لأنَّ على الإنسانِ أن يَرُدَّ العِلمَ والفَضْلَ لله سُبْحانه وتعالى...

وأرادَ اللهُ أن يُرِيَهُ خَطَأه ، فَأَمَرَهُ أن يَذْهَبَ إلى

المَكـانِ الفُـلانـيِّ ، فهنـاكَ يَجْتَمِـعُ بَحْـرانِ مـن البحورِ... وأَعْلَمَهُ أنه سَيَلْتَقِي برجلٍ صَالحٍ.. وسَيَرى مَنْ هُو الأَعْلمُ!!

وعَلِمَ مُوسى بِغَلَطِه ، فَنَدِمَ واسْتَغْفَرَ، وأَوْحَىٰ اللهُ إليه ، فقالَ: ولكنْ يا رَبِّ ، كيفَ لي أَنْ أَعْرِفَ ذلك الرَّجُلَ الصَّالحَ؟

فَأَوْحَى اللهُ تعالى إليه: أن احْمِلْ مَعَكَ سَمَكَةً كَبِيرةً في وِعاءٍ ما.. وَسِرْ في الطَّرِيقِ فَعِندَما تَفْقُدُ السَّمَكةَ ، فَهُناكَ تَجِدُ الرَّجُلَ الصَّالحَ..

وبالفِعْل ، نَفَّذ موسى أَمْرَ رَبِّه ، فاصْطَحَبَ غُلامَه (يُوشَع) ، وأَعْطاهُ وِعاءً فيه سَمَكةً كَبِيرةً.

وسار فَتْرةً طَوِيلةً.. حيثُ الشَّمسُ اللاهِبةُ.. والطَّرِيقُ الصَّحْراويُّ.. حتَّى شَعَرَ الغُلامُ بالتَّعبِ والإِرْهاقِ ، فطلبَ مِنْ موسى أن يَجْلِسَا قليلاً مِنْ أجلِ الرَّاحةِ...

فقالَ مُوسى: لا بأسَ ! فَلْنَجْلِسْ عند تلك الصَّخْرةِ الكَبِيرةِ...

ومن شِدَّةِ الإرْهاقِ والتَّعبِ غَلَبَهُما النَّومِ ، فَنَاما...

ولمَّا اسْتَيْقَظا تابَعَا مَسِيْرَهُما نحو مُلْتَقَى البَحْرينِ... ولمَّا رأى موسى عليه السَّلامُ شَجَرةً وارِفةَ الظِّلالِ.. قال ليوشَعَ: تعالَ لِنَجْلِسْ في ظِلالِ تلك الشَّجَرةِ ، ولنتناولْ بعضَ الطَّعامِ...

ولمَّا جَلَسَا نَظَر يُوشَعُ في الوِعاءِ فلم يَجِدِ السَّمَكةَ ، فقال: يا سَيِّدي! ما حِيْلَتُنا؟ لقد ذَهَبَتِ السَّمكةُ!

عندئذٍ تذكَّرَ موُسى ما أوحى اللهُ إليه.. فعادَ إلى المكانِ الذي جَلَسا فيه عندَ الصَّخْرةِ.. ، فوجدا رَجُلاً.. فقال موسى: هذا هو العبدُ الصَّالحُ...

ورتَّلَ (أبو خالدٍ) بعضَ الآياتِ القُرآنيةِ التي تَحْكِي الحِكايةَ:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٠ ـ ٦٥].

دروسٌ يتلقَّاها
موسى عليه السَّلامُ من الخَضِرِ!!

تابعَ الجَدُّ الحِكايةَ:

ويقالُ: إنَّ ذلك العبدَ الصَّالِحَ يُدْعَى

(الخَضِرُ)... ولمَّا رآه موسى عليه السَّلامُ ، وتَعَرَّفَ عليه ، طَلَبَ منه مُصاحَبَتَهُ لِلتَّعَلُّمِ...

لكنَّ (الخَضِرَ) قال لموسى عليه السَّلامُ: لا طاقَة لك ولا صَبْرَ!!

فقال موسى: أَعِدُكَ أن أكونَ صابراً ، ولا أَعْصِي لكَ أيَّ أَمْرٍ: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

فاشترط (الخضر) على موسى عليه السلام أن لا يُكْثِرَ من الأَسْئلةِ والاسْتِفْسارَاتِ...

ولكنْ يا جَدِّي ـ سألتْ (بُشْرى) ـ ولِمَ ذلك كُلُّه؟ لماذا تلكَ الشُّروطُ الصَّعْبةُ؟

قال الجَدُّ: إنَّها دُروسٌ لموسى عليه السَّلامُ...

وأمَّا الدَّرْسُ الأوَّلُ: فَكان حينما وَصَلُوا (أي الخَضِر ومُوسى ويُوشَع) إلى شَاطِئِ البَحْرِ ، فَتَوَقَّفَتْ بعدَ قَلِيلٍ ، ورَكِبُوا فيها.

وفي مُنْتَصَفِ البحرِ أَخَذَ (الخَضِرُ) قدّوماً فكسرَ به لوحاً من ألواحِ السَّفِينةِ.. وبدأ الماءُ يَتَدفَّقُ إلى دَاخِلِها!!

عِنْدَئذٍ لم يَتَحَمَّلْ موسى عليه السَّلامُ ذلك المَنْظرَ العَجِيبَ ، فسأله: لِمَ فَعَلْتَ هذا الأذى؟

فابْتَسمَ العبدُ الصَّالحُ وهو يقولُ: لقد أَنْذَرْتُكَ من قَبْلُ.. وقد عاهَدْتَني على عدَمِ الاسْتِفْساراتِ...

فاعْتَذَرَ موسى (عليه السَّلامُ).. ووَعَدَهُ مَرَّةً ثانيةً أن لا يَسْأَلَ عن شَيءٍ...

وكان الدَّرسُ الثَّاني: عِنْدَما كانوا يَسِيرُونَ في الطَّرِيقِ ، فَرَأوا أولاداً يَلْعَبُونَ ، فاقتربَ (الخَضِرُ) منهم ، فَأَخَذَ واحِداً منهم ، فَضَرَبَهُ ، حتى قَتَلَهُ!!

فَغَضِبَ موسى عليه السَّلامُ.. وقال: كيفَ تَقْتُلُ هذا الطِّفْلَ البَرِيءَ؟

وعاد مُوسى يَعْتَذِرُ.. ثم قال: لَنْ أَسْأَلَكَ عن

شَيءٍ بَعْدَ هذا ، وإذا عُدْتُ إلى السُّؤالِ فلا تَقْبَلْ صُحْبَتِي...

وكان الدَّرْسُ الثَّالثُ: وهُم في الطَّرِيقِ إلى قَرْيةٍ مِنَ القُرى ، حيث شَعَرُوا بالجُوعِ... فلما وَصَلُوا إليها سَأَلُوا أَهْلَها طَعَاماً.. لكنَّ أهلَ القَرْيةِ رَفَضُوا إعْطاءَهُمْ ذلك ، فَخَرَجُوا منها.. ولمَّا رأى (الخَضِرُ) حائِطَ بُسْتانٍ قد وَقَعَ على الأَرْضِ ، شَمَّرَ عن ساعِدَيْه ، وراحَ يُعِيدُ الحَائِطَ كَمَا كانَ..!!

فقالَ موسى عليه السَّلامُ: لو أَرَدْتَ على ذلك أَجْراً لأَكَلْنا الطَّعامَ...

وعِنْدَئذٍ: أَعْلنَ (الخَضِرُ) نِهايةَ صُحْبةِ مُوسى عليه السَّلامُ!!

تَفْسِيرُ الأَحْداثِ

ثُمَّ قالَ (الخَضِرُ): فأمَّا السَّفِينةُ ، فقدْ كانتْ

لأيتامٍ يَرْتَزِقُونَ منها ، وكانَ يَحْكُمَ تلكَ البلادَ ملكٌ ظَالم يأخُذُ كُلَّ مَرْكبٍ جَيِّدٍ وصَالحٍ ، فَأَرَدْتُ أن أَضَعَ فيها عَيْباً كي لا يَسْتَولي عَلَيْها!!

وأمَّا الغُلامُ فكانَ أَبَواهُ صالِحَيْن ، لكنَّ اللهَ أَطْلَعنِي أنَّه إذا عاشَ فَسَيَكُونُ شَقِيّاً.. وسَيَجْلِبُ على أَبَويهِ العَذَابَ والمَهَانةَ.. فَقَتَلْتُه لأُرِيْحَهما منه!!

وأمَّا الجِدارُ ، فكانَ لأيتامٍ.. وكان تَحْتَه كَنْزٌ لهما.. فَأَعدتُ إصْلاحَهُ كي يَكْبُرا ثم يَسْتَخْرِجا ذلك الكَنْزَ!!

يا مُوسَى! هذا كُلُّه ليسَ من عِلْمي.. إنَّما هو مِنْ عِلْمِ الله سُبْحانه وتعالى.

عِنْدَئذٍ.. عادَ مُوسَى بِذَاكِرتِه إلى الوَرَاءِ.. وتَذَكَّر أنَّ كُلَّ ذلك.. ما هُو إلا دُروسٌ عَمَليَّةٌ له.. ولِمَنْ بَعْدَه.. وصَدَق اللهُ تعالى:

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

نَسْأَلُ اللهَ أن يُعَلِّمنَا ما هو نافِعٌ لنا ولِغَيْرِنا.. ، وأن لا يَجْعَلَ مِنَ العِلْمِ حاجِزاً بَيْنَنا وبَيْنَ عِبادِ الله.. وأنْ يَكْتُبَنا من المُتَواضِعِينَ.. إنَّه على كُلِّ شَيء قَدِيرٌ...

والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ